

روح المعاني

عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون إلخ وإنما لم يذكر تعويلا على ذلك وإيثار الإيجاز وإيدانا بأن قوله تعالى : إن الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف أصلا ولعل عطفه على ذلك بالفاء باعتبار الإيجاب الحادث الذي هو أحد مفهومي الحصر فإنهم قالوا : معنى ما قام إلا زيد قام زيد ولم يقم غيره وبعضهم لم يعتبر ذلك وقال : إن عطفه بالفاء على ذلك مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما في قوله تعالى : فاتبعوا أمر فرعون وما في قولك : وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر في ذلك أن الإتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث أي فما آمن له عليها السلام في مبدأ أمره إلا ذرية من قومه أي إلا أولاد بعض بني إسرائيل حيث دعا عليه السلام الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من شبانهم فالمراد من الذرية الشبان لا الأطفال .

و من للتبعيض وجوز أن تكون للإبتداء والتبعيض مستفاد من التنوين والضمير لموسى عليه السلام كما هو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأخرج ابن جرير عنه أن الضمير لفرعون وبه قال جمع فالمؤمنون من غير بني إسرائيل ومنهم زوجته آسية وماشطته ومؤمن آل فرعون والخازن وإمرأته وفي إطلاق الذرية على هؤلاء نوع خفاء ورجح بعضهم إرجاع الضمير لموسى عليه السلام بأنه المحدث عنه وبأن المناسب على القول الآخر الإضمار فيما بعد ورجح ابن عطية إرجاع الضمير لفرعون بأن المعروف في القصص أن بني إسرائيل كانوا في قهر فرعون وكانوا قد بشروا بأن خلاصهم على يد مولود يكون نبيا صفته كذا كذا فلما ظهر موسى عليه السلام إتبعوه ولم يعرف أن أحدا منهم خالفه فالظاهر القول الثاني وما ذكر من أن المحدث عنه موسى عليه السلام لا يخلو عن شيء فإن لقائل أن يقابل ذلك بأن الكلام في قوم فرعون لأنهم القائلون إنه ساحر ولأن وعظ أهل مكة وتخويفهم المسوق له الآيات قاص بأن المقصود هنا شرح أحوالهم وأنت تعلم أن للبحث في هذا مجالا والمعروف بعد تسليم كونه معروفا لا يضر القول الأول لأن المراد حينئذ فما أظهر إيمانه وأعلن به إلا ذرية من بني إسرائيل دون غيرهم فإنهما أخفوه ولم يظهره على خوف حال من ذرية و على بمعنى مع كما قيل في قوله تعالى : وآتى المال على حبه والتنوين للتعظيم أي كائنين مع خوف عظيم من فرعون وملائهم الضمير لفرعون والجمع عند غير واحد على ما هو المعتاد في ضمائر العظماء ورد بأن الوارد في كلام العرب بالجمع في ضمير المتكلم كنحن وضمير المخاطب كما في قوله تعالى : رب ارجعون وقوله .

ألا فإنهموني يا اله محمد .

ولم ينقل في ضمير الغائب كما نقل عن الرضي وأجيب بأن الثعالبي والفارسي نقلاه في الغائب أيضا والمثبت مقدم على النافي وبأنه لا يناسب تعظيم فرعون فإن كان على زعمه وزعم قومه فإنما يحسن في كلام ذكر أنه محكى عنهم وليس فليس ويجاب بأن المراد من التعظيم تنزيله منزلة المتعدد وكونه لا يناسب في حيز المنع لم لا يجوز أن يكون مناسبا لما فيه من الإشارة إلى مزيد عظم الخوف المتضمن زيادة مدح المومنين وقيل : إن ذلك وارد على عادتهم في محاوراتهم في مجرد جمع ضمير العظماء وإن لم يقصد التعظيم أصلا فتأمله وجوز أن يكون الجمع لأن المراد من فرعون آله كما يقال : ربعة ومضر وإعترض عليه بأن هذا إنما عرف في القبيلة وأبيها إذ يطلق إسم الأب عليهم وفرعون ليس من هذا القبيل على أنه قد قيل : إن إطلاق أبي نحو القبيلة عليها لا يجوز ما لم يسمع ويتحقق جعله علما لها ألا تراهم لا يقولون :